المخرج الإيراني محمد شيرواني:

السينما هي الذاكرة والتلفزيون هو السلطة في البلدان التي لا تحترم الذاكرة!

لقطة من فيلم «ايران محافظة» لشيرواني

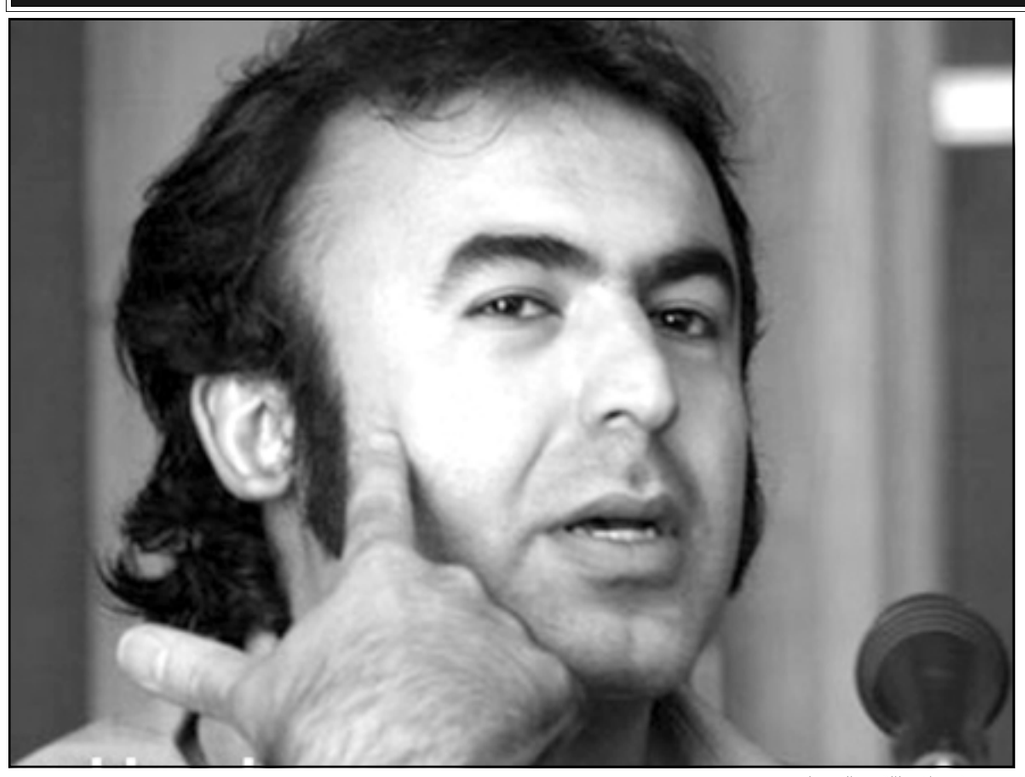

محمد شيرواني (القدس العربي)

روتردام ـ «القدس العربي»:

ينحدر المخرج الإيراني محمد شيرواني من عائلة دينية محافظة، تتميّز بنظامها الحياتي الصارم. فأبوه كان رجلاً عسكرياً متشدداً في حياته برمتها. وحينما إندلعت الحرب العراقية ـ الإيرانية كان عمر محمد سبع سنوات لا غير، فهو من مواليد طهران عام 1973. وكان والده يدرك جيداً أن يد المنون تختطف الآلاف المؤلفة من الرجال وهم في ريعان شبابهم في جبهات القتال، لذلك سارع إلى تسجيله في مدرسة التصنيع العسكري العليا علّه ينقذه من المصير الغامض الذي ينتظره في المناطق الحدودية المُلتهبة شرط أن يخدم في هذا الصنف مدة عشر سنوات! ولأن محمد شيرواني كائن مطيع وخجول فقد رضخ لرغبة أبيه، وتطوّع في هذه المدرسة العسكرية، وبقي في طهران، المدينة الأكثر أمناً من كل المدن الإيرانية الغربية المحاذية للحدود العراقية.

ولم تتوقف صرامة أسرته عند هذا الحد حسب، بل أجبروه على زواج تقليدي يرضي رغبة الوالدين فقط من دون أية مراعاة لمشاعره الداخلية، وقلبه الذي قد ينبض لفتاة أخرى صادفها هنا أو هناك. غير أن هذه الضغوط القاسية قد فجّرت في أعماقه ما لم يتوقعه الأب الذي يريد أن يرسم خارطة لمستقبل ابنه على هواه ومزاجه، فقد هرب الإبن بعد سبع سنوات من الخدمة العسكرية المتواصلة، وتوجه إلى دراسة الفن التشكيلي في أكاديمية الفنون الجميلة، وإنغمس في التشكيل لمدة من الزمن، لكنه إكتشف أن فضاء اللوحة التشكيلية ضيّق، وأن جمهور الفن التشكيلي محدود عموماً، ومقتصراً على النخبة، بينما كان همّه الداخلي مخاطبة جمهور أكبر حجماً وأوسع إنتشاراً، لذلك فكّر في السينما بوصفها فناً بصرياً واسع الإنتشار، وقد يفتح له كوّة إلى العالم الخارجي حيث تنتظره الجوائز العالمية، وتترقبه السجّادة الحمراء.

جائزة «كان» انقذته من عقوبة الهروب من الخدمة العسكرية

في عام 1988 كانت الحرب العراقية ـ الإيرانية قد وضعت أوزارها، لكن الأجهزة الأمنية ظلت يقظة تحاسب الناس على هفواتهم وأخطائهم، وترسم لهم مصائرهم أيضاً. ولأنه «هارب من خدمة الوطن «فلابد للأجهزة الأمنية أن تقبض عليه، وتودعه في «سجونها الإصلاحية! ». كان محمد شيرواني في عام 1999 بالذات منهمكاً في إنجاز فيلمه الأول «الدائرة»، وحينما وضع لمساته الأخيرة عليه بعثه إلى باريس بهدف المشاركة في مهرجان «كان» السينمائي، وظل ينتظر ساعي البريد لكي يحمل له الخبر المفاجئ الذي سيقلب حياته رأساً على عقب.

وفعلاً جاء من يُطرق على الباب، لكنه لم يكن ساعي البريد، بل كانوا زمرة من العناصر الأمنية التي كبّلت أحلام محمد أو يديه، وإقتادته إلى أقرب مركز بوليسي للتحقيق في جريمة هروبه من «خدمة العلم ». وضمن مراحل سير التحقيق صادف أن تظهر الموافقة الرسمية على مشاركة فيلمه التسجيلي القصير «الدائرة» في مهرجان «كان» ذائع الصيت، وخشية من فضائح الصحافة العالمية التي قد تنشر غسيل المخابرات الإيرانية في وسائل الميديا العالمية، أطلقوا سراحه، ومنحوه إذناً بالسفر إلى باريس شرط أن يتحدث عن «الدائرة» وألا يخرج عن مساحتها الضيقة المرسومة بالخط الأحمر.

لم يُدهش محمد شيرواني حينما إنتزع فيلمه الأول جائزة النقاد «فيبريسي «فهو الأدرى بإمكانياته الفنية التي تؤرقه ليل نهار، ويعرف أن منجم أعماقه غزير بالعطاءات القادمة. فواصل مسيرته الإخراجية بأفلام تنتمي إلى المجازفة والتجريب «والعالم الجوّي» إن صح التعبير، ملامساً المناطق المحرّمة أو المحجوبة أو المسكوت عنها فأنجز في عام 2000 فيلم «المرشح»، وفي عام 2001 أنجز فيلمي «الموافقة» و«هدية تذكارية» وفي عام 2002 أثار فيلمه «الكرز المعلّب» ضجة في المشهد الثقافي السينمائي. وفي عام 2004 تبعه بفيلم « Con-serve Iranian» وفي العام ذاته أنجز شيرواني فيلمه الروائي الأول «السرّة» والذي ينطوي على جرأة نادرة بحيث تلقفته المهرجانات العالمية ومن بينها مهرجان الفيلم العالمي في روتردام الذي إحتفى بعرضه عرضاً عالمياً أول مرة لافتاً إليه إهتمام النقاد والجمهور متعدد الجنسيات بحيث صار محبوه ومؤازره يترقبون عروضه القادمة.

السخرية المرّة وروح الدعابة

في عام 2005 أنجز شيرواني فيلمه التسجيلي الطويل الأول، والذي إنضوى تحت عنوان «الرئيس مير قنبر» وقد بلغ شيرواني في هذا الفيلم بالسخرية إلى أقصاها حينما تناول شخصية موظف حكومي متقاعد، طاعن في السن، يرشح نفسه للإنتخابات الرئاسية لإيران من قريته النائية في إقليم أذربيجان، يساعده فريق عمل مؤلف من رجل واحد يدعى سيف الله، معوّق يمتطي حماراً يجر وراءه عربة بدائية جداً، ويوزع منشوراته الدعائية المستنسخة على الرعاة والفلاحين. وقد وعده الرئيس المرتقب بإسناد وزارة الصحة إليه في حال فوزه بالحملة الإنتخابية. ويذكر أن مير قنبر حيدري قد رشح نفسه سابقاً للإنتخابات البرلمانية خمس مرات، وللإنتخابات الرئاسية ثلاث مرات، لكنه لم يحصد من كل مشاركاته السابقة إلا بضع مئات من الاصوات التي لم توصله إلى سدة الحكم.

والمفارقة الكبرى أن هذا الرئيس المرتقب ينوي تنظيف شوارع إيران برمتها في حال وصوله إلى السلطة لإستقبال المهدي المنتظر الذي سيقضي على الظلم والجور، ويملأ الدنيا عدلاً وإحساناً. وقد فاز هذا الفيلم مؤخراً بجائزة «ياماغاتا» التي يمنحها مهرجان ياماغاتا للفيلم التسجيلي العالمي في اليابان. يمكن القول إن السيرة الإبداعية للمخرج الإيراني محمد شيرواني لن تقتصر على الأفلام العشرة التي أنجزها بين عام 1999 وحتى الآن، وإنما ستتوسع بالتأكيد، وتتطور لصلحة تجربته الإخراجية التي تدور في فلك التجريب، وخرق المألوف، والتحرّش بالمناطق المختفية.

وخلال هذه المدة القصيرة زمنياً اشترك شيرواني في سبعين مهرجاناً محلياً وعالمياً، ونال «26» جائزة وطنية، و«6» جوائز عالمية.

الذاكرة المرئية

وفي أثناء مشاركته في مهرجان الفيلم العالمي في روتردام وللمرة الثانية إلتقيته لأثير في أعماقه بعض الأسئلة التي تتعلق بتجربته الفنية. وقد ساهم في ترجمة هذا الحوار مشكوراً المترجم العراقي محمد الأمين «وهو من أصل إيراني «ويتقن اللغة الفارسية جيداً، الأمر الذي ساعدنا في الكشف عن المناطق الغامضة في حياة هذا المخرج السينمائي الذي سيحقق حضوراً كبيراً وفاعلاً في السنوات القادمة. وحينما بادرته بالسؤال عن مدى إقتناعة بمقولة غودار التي تؤكد على أن «السينما هي الذاكرة، والتفزيون هو النسيان. «أجاب إجابة ذكية تنطبق على الكثير من دول العالم الثالث الشمولية حيث قال «صحيح أن السينما هي الذاكرة، ولكن التلفاز هو السلطة!" في البلدان التي لا تحترم الذاكرة المرئية. وقبل أن نمضي في نثر أسئلتنا في فضاء ذاكرته قال إنه يفضل الحديث عن الأفلام الإيرانية التي عالجت الحرب العراقية – الإيرانية من منظور إنساني سواء له أو لغيره من المخرجين الإيرانيين وخصوصاً أولئك الذين إكتووا بنارها، أو عانوا منها بشكل غير مباشر. وعندما سألناه عن السبب الذي دفعه لإنجاز فيلم عن الأسرى العراقيين الذين ظلوا محتجزين في إيران لعقدين من الزمان أجاب: «في أحد أفلامي المعروفة وهو «الكرز المعلّب «حاولت أن أقدم رؤية إنسانية شاملة للأسرى العراقيين في إيران من خلال رسالة يكتبها أسير عراقي لمولوده الذي بلغ من العمر « 18 عاما» من دون أن يعرف الأب الأسير إن كان المولود ذكراً أو أنثى، وقد شارك هذا الفيلم في عشرات المهرجانات العالمية، ونال إستحسان النقاد والمشاهدين على حد سواء. «كما توقف عند فيلم «الأسير والإنتظار «للمخرج الإيراني محمد الأحمدي والذي ساهم شيرواني في منْتُجته حيث قال «إن هذا الفيلم يتحدث عن مجموعة كبيرة من الأسرى العراقيين المُحتجزين في أحد معسكرات الأسر في إيران حيث أمضوا فيه نحو عشرين عاماً، وكانوا خلال هذه المدة الطويلة يتوقون للحظة التي يتحررون فيها من قيود الأسر الثقيلة. ويبدو من خلال هذا الفيلم أن العالم برمته قد نسي هؤلاء الأسرى، وأن الطيور هي الكائنات الوحيدة التي لم تنسَهم، بل كانت تبدد وحشتهم في ظلمة الأسر، وتخفف عنهم وطأة الأجواء الكابوسية المريرة.». وطالما أن المخرج ينتمي إلى «الموجة الجديدة «في إيران، هذه الموجة التي لم تنسجم مع أطاريح النظام الإسلامي الذي لا يترك للسينمائيين الحرية في العمل الفني سألناه عن الجهات الداعمة لأفلامه، خصوصاً وأن فيلمي «السرّة» و«الرئيس مير قنبر» قد حصلا على دعم من صندوق هوبيرت بالس الهولندي، فأجاب: «أنا مخرج مستقل، وأحاول جهد الإمكان أن أعبّر عن وجهة نظري الشخصية كفنان، وقد واجهت خلال السنوات السبع الماضية صعوبات كبيرة سبّبتها لي الجهات الرسمية، لذلك لم أحصل على دعم رسمي من إيران، وقد حصلت على دعم لفيلمين من أفلامي القصيرة من مؤسسات شبه حكومية، أما بقية أفلامي فقد حصلت على تمويل داخلي مستقل، وتمويل خارجي هولندي، كما ورد في متن سؤالك. وأكثر من ذلك فلم أحصل على ترخيص لعرض بعض أفلامي داخل إيران، ومن المؤسف أن اعرض أفلامي خارج إيران ولا أتمكن من عرضها للجمهور الإيراني». ومن المعروف أن محمد شيرواني مولع بالعمل السينمائي الروائي والتسجيلي، ولكنه يسعى لترسيخ نوع جديد من السينما التي تمزج بين الفيلم الروائي والتسجيلي في آن معاً، وقد سبق له أن حدّد هدف هذا النوع الهجين وهو البحث عن «الحقيقة الثانية «حيث قال: «إن الفيلم التسجيلي يحدّ من قدرتي على التخيّل، وأن الفيلم الروائي يقلل من إمكانية التوثيق. ما أبحث عنه هو الإمساك بـ«الحقيقة الثانية» التي أشار إليها تاركوفسكي ذات مرة. «وبوصفنا متابعين للمشهد السينمائي الإيراني فقد طلبنا منه أن يحدد طبيعة العلاقة بينه وبين المخرجين الكبار أمثال عباس كياروستمي ومحسن مخملباف وغيرهما فأجاب: «أغلب المخرجين الإيرانيين الكبار ينتمون إلى تيارات ومدارس سينمائية مختلفة، خلافاً لي ولأقراني من تيار «الموجة الجديدة» الذي لم ينسجم مع الرؤى والتوجهات السياسية للبلد بعد الثورة الإسلامية عام 1979. ولا بد من الإشارة إلى أن هؤلاء المخرجين الكبار أمثال كياروستمي ومخملباف، وبهرام بيضائي، وشوهراب شهيد ساليس، كانوا شجعاناً بما فيه الكفاية، لأنهم كسروا الحواجز التي كانت تقف بوجه السينما الإيرانية، وخصوصاً تلك القيود التي فرضتها هيمنة نظام ديني له شروطه، وقناعاته الفكرية التي أوجدت مقص الرقيب الذي لا يمرّر افلاماً تتنافى مع القيم الإسلامية. لذلك يجب التنوية دائماً إلى أهمية الدور الذي لعبه المخرجون الأسبقون الذين مهّدوا الطريق للموجة الجديدة والتي ننسبها لهم، لكننا ننسب إلينا فكرة الذهاب بالمغامرة إلى أقصاها، ومن هنا فقد تكون موضوعاتنا أكثر جرأة من موضوعاتهم، ولهذا السبب أقول إننا لم نكن محافظين بالقدر الذي كانوا هم عليه. نحن لم ننشغل بالكليشهات القديمة، بل ذهبنا إلى الأمكنة الجديدة التي أفرزت بالضرورة إبداعات جديدة ممتعة وغير مكررة كما هو حال أفلامي الجريئة «السرّة» أو «المرشح» أو «الكرز المعلّب» أو «الرئيس مير قنبر» أو أي فيلم آخر من أفلامي التي تعالج عوالم «جوّانية» أو سرّية إن شئت لم يتعاطَ معها المخرجون المحافظون. ربما لدي ملاحظة سلبية واحدة وخطيرة على بعض الأسماء الفنية الجديدة وهي أنهم يسعون وبلا هوادة لإتباع خطوات الاستاذة الكبار الذين أشرنا لهم آنفاً، فلو ذهب كياروستمي إلى كردستان وصوّر فيلماً عن المنطقة الساخنة هناك فأن أغلب المخرجين الشباب يذهبون إلى هناك، ويفعلون مثلما فعل مستوحين الروح الإيقاعية للفيلم، أو لو ذهب مخملباف إلى أفغانستان فأنه سيغري الشباب بالذهاب إلى هناك ويحفزّهم لتصوير أفلام مماثلة لا تنجو من بصماته أو تاثيره الفني بشكل عام». وعن حجم المشاركة الإيرانية في مهرجان الفيلم العالمي في روتردام سألنا المخرج محمد شيرواني عن الأسباب الكامنة وراء الحضور الطاغي للفيلم الإيراني، ومبررات وجوده القوي على الرغم من خروجه من رحم نظام ديني أقل ما يقال عنه أنه متشدد أو أصولي، فأجاب: «إن السينما الإيرانية لم تتوقف بعد مجيء الثورة الإسلامية، وربما يعود الفضل الأكبر إلى المخرجين الأكبر سناً منا، والذين رفضوا أي شكل من أشكال القيود على الإنتاج السينمائي. وهذا لا يعني أنه ليست هناك رقابة على الفيلم الإيراني، بل أوكد لك بأن الرقابة كانت سابقاً موجودة على الفيلم الروائي بقوة لأنه يتعاطى مع موضوعات من قبيل الحياة والحب وما إلى ذلك، أما الآن فإن هناك رقابة حتى على الفيلم التسجيلي، ولكن الصراع بين السلطة من جهة، والسينمائيين من جهة أخرى ما يزال موجوداً وقائماً على اشده، وكل يشد الحبل بإتجاهه، غير أن بلداً كبيراً مثل إيران فيه طاقات سينمائية كبيرة. وأستطيع القول إن هناك نحو « 5000» شخص في إيران يعملون في مجال إنتاج الفيلم الوثائقي، كما أن هناك الجامعات والمعاهد الفنية المتخصصة في مختلف الحقول السينمائية، لذلك فإن نسبة إنتاجنا للأفلام الوثائقية والروائية تفوق بلداناً كثيرة في العالم، فلا غرابة أن نشترك في هذا المهرجان بسبعة أفلام روائية ووثائقية. كما ساهمت الكاميرا الرقمية في توسيع التصوير السينمائي، وإنتاج ما يسمى بالأفلام المنزلية التي تصور مباشرة بواسطة الكاميرا الديجيتال، وتمنتج على شاشة الكومبيوتر بكلف مادية ضئيلة جداً. ولك أن تتصور أنا من عائلة دينية محافظة، هربت من الخدمة العسكرية لألتحق بالحقل السينمائي الذي شغف لي وأنقذني من عقوبة قاسية لأنني أنجزت فيلم «الدائرة» الذي فاز بجائزة النقاد في مهرجان «كان» وقد ألغت السلطات الإيرانية العقوبة التي كانت مترتبة على هروبي من أداء الخدمة العسكرية بسبب هذه الجائزة العالمية».

فرض الحجاب، وتنظيف شوارع إيران لإستقبال المهدي المنتظر

وعن فيلمه «الرئيس مير قنبر» المثير للجدل والسخرية في آن معاً سألناه عن السبب الذي دفعه لتبني هذا الحجم الكبير من الدعابة، والتهكم، والسخرية، والكوميديا السوداء فأجاب: «يتناول فيلمي الجديد «الرئيس مير قنبر «والذي حصل على دعم هولندي، شخصية دونكيشوتية، وهو مير قنبر حيدري الذي تمكن بعد خمس وعشرين عاماً من إجتياز إمتحان الكونكر الذي يؤهله للدخول إلى الجامعة، وقد دخل إليها وهو الآن أكبر طالب جامعي سناً. وقد خاض عدداً من الإنتخابات الرئاسية والبرلمانية ولم يحصل إلا على نسبة ضئيلة من الأصوات، ولكنه يعتقد أن العناية الإلهية ستشمله ليتولى منصب رئيس الجمهورية الإسلامية في إيران. وقد قدّم تصوراته وآراءه عن مهامه القادمة كرئيس للدولة في مجمل الشؤون الأساسية مثل حقوق الإنسان، وطبيعة العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، مع التأكيد على العلاقة بين الشعبين الأمريكي والإيراني لا تشوبها أية شائبة، والإشكال قائم مع الإدارة الأمريكية فقط، كما بيّن وجهة نظره بحقوق المرأة الإيرانية. وقد آزره في هذه الحملة الإنتخابية لرئاسة الجمهورية شخص معاق وعده المرشح قنبر بمنصب وزير الصحة في حال فوزه في الحملة الإنتخابية. ولا تخفى على المشاهد أوجه المقارنة بين مير قنبر ومساعده سيف الله، ودون كيشوت ومرافقه سانشو بانزا. ولا شك في أنني أريد القول بأن هناك شخصيات غير طبيعية تسعى للوصول إلى أعلى المناصب الحكومية. وقد حظي هذا الفيلم بإعجاب الكثير من المشاهدين في العديد من بلدان العالم التي عرض فيها هذا الفيلم." وحينما سألناه عن سبب إختياره لشخوص غير محترفين في فن التمثيل سواء في هذا الفيلم أو أفلام سابقة له فأجاب: «أنا أحب العمل مع الشخصيات غير المحترفة، فهي طريفة في كل شيء، وتستطيع أن تتلمس الحقيقة من آرائها، وتوجهاتها، فهم يظهرون حقيقة ما في أعماقهم. وفي فيلم «الرئيس مير قنبر «هناك الكثير من الحقائق التي لا يجرؤ البعض على التصريح بها، بينما الناس البسطاء لا يضمرون شيئاً من هذا القبيل. فحينما سألته في جينيف عن رأيه في الفيلم قال بصراحة متناهية: «أن إعتراضي الوحيد على مدة الفيلم الذي كنت أتمنى أن يستمر عرضه لمدة ثلاث أو أربع ساعات، لأنه كان يعتقد أن مدة التصوير الطويلة التي إستغرقها الفيلم ستعرض كلها على الشاشة الكبيرة». وحينما سألوه عن الإجراءات التي سيتخذها عندما يصبح رئيساً للجمهورية أجاب بوضوح قائلاً: «سأفرض الحجاب الإسلامي على المرأة، وسأصدر أوامر للمواطنين بتنظيف شوارع إيران تمهيداً لظهور المهدي المنتظر بعد غيبته الطويلة»..

رفض القوالب والصيغ الجامدة

ولكون التجريب صفة مميزة في المنجز الفني لشيرواني فقد سألناه عن قدرته في إحتواء المتغيرات الكثيرة التي تطرأ على عالم السينما فأجاب: «إن معركة التجديد بين القديم والجديد في السينما وفي اي عمل إبداعي مستمرة، ولا أعتقد أنها ستتوقف ذات يوم. كل ما في الأمر أنا لا أحب الصيغ والقوالب الجامدة، لأن الصيغة تجعل الفن يشبه «سندويجة الماكدونالد «المتشابهة التي تجبر الشخص على أن يأكلها وهي ساخنة، ثم تنتهي بسرعة من دون أن تخلّف طعماً أو نكهة مستديمة. الفن السينمائي الراقي من وجهة نظري ليس صحيفة تولد اليوم لتموت غداً، وأنا أريد أن أصنع أفلاماً سينمائية تبقى لمدة طويلة من الزمن، وتتعاطى مع القضايا الإنسانية التي تصمد كلما تقادمت الأيام والسنوات. أنا اشعر بأن بعض الأفلام تغيّرت وراثياً، وأصبحت خفيفة لا وزن لها، تماماً كما الصحيفة اليومية التي تولد وتموت بعد ليلة واحدة من الحياة. أريد أن اصنع وأرى أيضاً أفلاماً منبثقة من أعماق الإنسان، جديدة، ومحرّكة للمشاعر، ومتمردة على الصيغ الثابتة».

التقاه: عدنان حسين أحمد

تداعيات

دونية ومسحوقة أيضاً

منهل السراج*

■ أرسل لي صديق، معلقاً بغضب، عن آخر مادة نشرتها:
ـ مادتك تعبر عن دونية مسحوقة، لكن لأنني أعرفك وأفهمك، أنصحك أن تبتعدي عن هذه الأفكار.
ثم ألحقها برسالة أخرى:
ـ من يتلاعب بعقلك؟
وفي رسالة ثالثة قال إنه آسف.
صديقي يحب عروبته ويعتز بها. أنا أيضاً أحب عروبتي لكن والله لا أعتز بها. اعتذر لظنه أنه آذاني، لكنه لم يؤذني لأن حقيقة الأمر أن شعوراً بالعار يغمرني.
ربما كنا يوماً أبطالاً كما يدعي التاريخ والأدب العربي. أرى استنكارا من ربما هذه!
هذه دعوة لفضح التاريخ وفضح حالنا وبعضنا علنا إن خجلنا قليلاً، ننهض من وضعنا الذي أنهكناه بادعاءاتنا ومكابراتنا. قال إنه يوجد مشروع صهيوني عنصري، قلت موافقة: معك حق. ولكن لن أبدأ بالعدو، كما تحبون تسميته، وليس من مهمتي تغيير منهجه. سأبدأ بحالنا.
بلاد العرب، تسمى دولاً وهي ليست أكثر من رؤساء وشعوب. ثنائية مكررة. الأول يرتكب الحماقات والثاني يموت، إما بسلاح زعيمه أو بسلاح عدو زعيمه. أحزاب وتجمعات ليست إلا مشاريع تتماهى مع الزعيم وأعضاؤها يتماهون معها، يؤمنون حتى الثمالة بقدسية الزعيم وهم مستعدون للموت في سبيله، أما هذا الزعيم، فلا دور له إلا تهديد الأعداء بهذا الرصيد البشري الذي يملكه، تراه يراهن على النصر، حين تصبح أجساد الضحايا جبالاً هائلة؟ إذا كان متأكداً فليخبرنا عن العدد الذي يلزمه للحصول على النصر، كي نعد قتلى كل يوم وننتظر الخلاص حين يصل العدد إلى الرقم المطلوب.
في الصباح أقرأ الصحف كما يفعل كل الناس، أقلب الصفحات وكما يفعل كل الناس، أكظم غيظي، وأرى بالتسلسل:
صور الرؤساء يتصافحون، أو يخطبون أمام الشعوب، وهم على الغالب بصحة جيدة. أسماء الكتاب المشهورين، وصور الفنانين المعروفين.
غالباً الصورة المكبرة، تكون في الوسط وهي تخص بقية الشعوب، أعني للخبر الطازج، تفجير الأمس في العراق أو فلسطين واليوم في لبنان.. طفل في لفافته لم يحيَ بعد ليموت، طفلة تبكي أباها الذي كان يمسك بيدها منذ برهة، وربما تنتظر الأرجوحة الهانئة التي وعدها بها، أم تضرب صدرها وتشق قميصها. وكل يوم، كل يوم، شاب مراهق ملفوف بعلم البلاد.
أمهات فلسطينيات يزغردن لقتل أبنائهن، لماذا؟ لأنهم شهداء، هكذا لقنوهن، عليهن كبح الدموع والنواح كي لا يحرمن الشهيد الشهادة. لكن الدم المهدور لم يذهب رخيصاً وحسب، بل وفتح جروحاً أخرى لتنزف المزيد والمزيد، الدم المهدور تسبب بتفجير أجساد أطفال آخرين وهدم البيوت وضياع الثروات والأعمار.
ما الاحظه في هذا العمر المتشابه في صفحاته الأولى والأخيرة، أن صور رؤساء الدول، وصور الفنانين والكتاب، صور ثابتة بينما صور الضحايا متنوعة وتلقائية. ذلك لأن أصحابها لم يعرفوا أبداً أنهم في الغد سيتبوأون الصفحة الأولى، ولن يفرحوا بهذه الشهرة لأنهم مضوا إلى الآخرة. بينما المشاهير يعرفون أن صورهم كل يوم تنشر، لذلك يحافظون على وجوهم مبتسمة ومبتهجة ومنتصرة، ذلك لأن الشعوب تنتظر طلتهم لتجعل يومها متفائلاً.
وأكثر ما يملؤني عاراً صور أطفال يهتفون بحياة الزعيم أو بسقوط العدو.
أتذكر أن المسيرات التي كانوا يخرجوننا إليها بالقوة، كانت تبعث على المتعة. تهتف الموجهة بنداء، يعيش الرئيس أو يسقط العدو، تتلقفه قائدة الصف وترده علينا فنردده وراءها، في بادئ الأمر، نردده مجبرين، ثم يسري بيننا ضحك، ثم يصبح الهتاف ممتعاً.
وهكذا تبدأ القصة بالمشاركة الباردة وتنتهي بهتاف حقيقي، لا معنى لكلماته، ولا قيمة لها، إنما بالصراخ والحماس الجماعي، نفجر كل الكبت الذي نعيشه في بيوتنا وحاراتنا ومدارسنا. وهؤلاء الأطفال المنهكون من الفقر والكبت والحرمان، سيهتفون ويحيون بطولة القائد ويسقطون العدو، عدو الزعيم، هو عدو البلاد. هتاف جماعي، استقواء وتعويض وهمي عن ألف خسارة يعيشونها يومياً، لا مدرسة جيدة، لا مكان حقيقيا ليلعبوا، لا ضمان صحيا ولا ضمان حياتيا. ذلك لأنهم صاروا مهيئين فقط للجنات فقط.
لسنا محملين بألم وإحساس بالخسران يدفعنا لطعن أنفسنا كما فعل الكاتب الياباني يوكيو ميشيما حين قتل نفسه على طريقة الساموراي، في نهاية محاولة يائسة صدمت خيال العالم بأسره، مع أن خساراتنا ليست أقل من خسارات اليابان بعد الحرب، ذلك لأننا لسنا بالشجاعة الكافية للاعتراف بهزيمتنا وعارنا أولاً حتى نكون قادرين على فعل كبير ومعلن كهذا.

* روائية من سورية تقيم في السويد

عرض مسرحي تونسي ياباني يفتتح مهرجان قرطاج الدولي

■ تونس ـ من نجاح المولهي: افتتح عرض مسرحي تونسي ياباني مشترك بعنوان «رؤى متقاطعة» فعاليات مهرجان قرطاج الدولي الذي ابصر النور قبل 42 عاما في مدينة قرطاج الواقعة في الضاحية الشمالية للعاصمة التونسية.
وقدم ممثلون من فرقة «مسرح النو» الياباني يصاحبهم للمرة الاولى ممثلون من فرقة «الفن الرابع» للتونسي محمد دريس مساء الاحد الماضي على خشبة المسرح الروماني وامام خمسة الاف متفرج لوحتين تناولت الاولى قصة القائد القرطاجي الفينيقي الاصل هنيبعل الذي عبر جبال الالب في القرن الثالث قبل الميلاد لمحاربة روما.
وفي الجزء الثاني جسد الممثلون حزن والم امرأة وجدت طفلها ميتا على ضفاف بحيرة سوميديقاوا بعيدا عن العاصمة اليابانية.
وتعود جذور مسرح «النو» الذي يعتبر من الفنون النبيلة في اليابان الى الطقوس والتقاليد القروية والدينية اليابانية القديمة. وهو خليط من الموسيقى والانشاد الجماعي.
ويندرج هذا العرض المشترك في اطار التبادل الثقافي بين البلدين اللذين يحتفلان بخمسين سنة من التعاون.
ويتضمن برنامج مهرجان قرطاج الثاني والاربعين المستمر حتى 16 اب/اغسطس المقبل نشاطات موسيقية واعمالا راقصة وعروضا مسرحية وسينمائية وامسيات شعرية من تونس ومصر ولبنان وسوريا والكويت والعراق والامارات العربية المتحدة والمغرب فرنسا وكوبا وكوريا والولايات المتحدة الاميركية.
ومن المطربين التونسيين المشاركين في المهرجان لطيفة العرفاوي وصابر الرباعي ونوال الغشام وصوفيا صادق وشريف علوي. ومن المطربين العرب اللبنانيين ملحم بركات وامل حجازي وفضل شاكر واميمة الخليل والعراقي ماجد المهندس والكويتية نوال والاماراتي حسين الجسمي والمصري حكيم والمغربي رشيد غلام.
وسيشهد المهرجان عروضا من فرنسا لجوليان كليرك وليان فولي ومن باماكو لسليف كايتا، فضلا عن البالية الوطني الكوري وعرض مشترك لارشي شيب عازف الساكسفون الاميركي الشهير ومجموعة قناوا المغربية.
من جهة اخرى يعرض في ساحة المسرح الروماني في قرطاج فيلم «عمارة يعقوبيان» للمخرج المصرى الشاب مروان حامد ويقوم ببطولته عادل امام ونور الشريف ويسرا. كذلك سيعرض فيلم «حليم» للمرة الاولى في بلد عربي وهو الفيلم الذي جسد فيه الراحل احمد زكي دور العندليب الاسمر عبد الحليم حافظ.
وفي البرنامج ايضا عرض الفيلم التونسي الجديد «التلفزة جاية» للمنصف ذويب وفيلم الكارتون التونسي الاول «كارطاغو» للمنتج احمد بهاء الدين عطية وافلام تونسية قصيرة شاركت في مهرجان كان الفرنسي ولقيت استحسان الجمهور والنقاد. وتعرض في المهرجان مسرحيات تونسية جديدة منها «ساعة ونصف بعدي انا» لنضال قيقة، و«برج الدلو» لتوفيق العايب، و«وادي الربيع» لعبد القادر مقدار، و«حلم ليلة» لعبد الحكيم المرزوقي، و«انا او لا احد» لمنصف السويسي. (اف ب)